الأزمات في ضوء القرآن الكريم وربطها بالواقع

الدكتورة

منيرة بنت عبدالله بن عبدالعزيز العبدان

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة القصيم

من ٦٣٣ إلى ٦٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين .

وبعد ...

إن سنة الله في خلقه تعرض الناس للابتلاء منذ خلق الله آدم – عليه السلام – ومروراً بالأنبياء والصالحين وحتى وقتنا الحاضر. قال تعالى: [أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾] [١] .

وذلك ليميز الله تعالى بين المؤمنين والمنافقين ، وبين الصادقين ، والكاذبين ، قال تعالى: [أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾] [٢]

والعصر الذي نحن فيه حافل بالأزمات ، والمحن الإقتصادية ، والإجتماعية ، والحروب ، والنزاعات .

والسبب إن المسلمون ابتعدوا عن التمسك بالقرآن الكريم ، وأعرضوا عن تعاليمه ، فضعف إيمانهم ، وضاقت حياتهم ، وكثرت أزماتهم ، فتأخروا هذا التأخر الهائل .

والمتأمل في أحوال المسلمين في وقتنا الحاضر يرى كثير من الانحرافات العقائدية ، والبدع ، والتفريط باركان الإسلام ، وترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وغير ذلك من الأمور ، وهذه من أعظم الأسباب التي أدت إلى ما يعانيه كثير من المسلمين من أزمات .

ولن تنتهي هذه الأزمات إلا بعودة المسلمين إلى دينهم والالتزام بأوامر الشرع ونواهيه .

---

١ – سورة العنكبوت آية (٢)

٢ – سورة آل عمران آية (١٤٢)

وقد ذكر القرآن الكريم أنواع الأزمات التي تعرض لها المؤمنين منذ أن خلق الله الخلق ، وبين أسبابها ، وعلاجها .

لذلك أردت في هذا البحث أن استعرض بعض الأزمات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وربطها بما يمر به المسلمون في عصرنا الحاضر مبينة الأسباب والعلاج .

راجية من الله أن ينفع في هذا البحث ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم

منهجي في البحث :

١- جمعت الآيات القرآنية المتعلقة بالبحث.

٢- رجعت في تفسير الآيات إلى كتب التفسير ، وعزوت أقوال المفسرين إلى الكتب التي ذكرت فيها .

٣- عزوت الآيات التي تطرقت إليها في البحث إلى سورها ، وحددت أرقامها في كل سورة .

٤- خرجت الأحاديث النبوية التي ورد ذكرها في البحث في كتب السنة ، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اقتصرت في التخريج عليهما ، وإن لم يكن فيهما خرجته من كتب السنة الأخرى ، وذكر الحكم عليه ما أمكن .

٥- وضحت بعض معاني الكلمات التي تحتاج إلى توضيح للمعنى .

٦- كتبت الآيات القرآنية برسم المصحف

خطة البحث

جعلت هذا البحث في مقدمة وثلاث مباحث .

- المقدمة.
- المبحث الأول : أنواع الأزمات في القرآن الكريم وربطها في الواقع .
- المبحث الثاني : أسباب الأزمات.
- المبحث الثالث : علاج الأزمات .
- الخاتمة .
- الفهارس.

المبحث الأول

أنواع الأزمات في القرآن الكريم وربطها في الواقع

أولاً : تسلط الكافرين على المؤمنين .

تسلط الكفار على المؤمنين منذ قديم الزمان ، ونالوا منهم قتلا وسلباً ونهباً واحتلالاً .

وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز انه أقام لبني إسرائيل دولتين عظيمتين في الأرض ، ولكن عندما أفسدوا في الأرض ، وارتكبوا المعاصي ، واستحلوا المحارم ، وقتلوا الأنبياء سلط الله عليهم جنداً من خلقه يسومونهم سوء العذاب .

قال تعالى : [وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾] .[1]

قال ابن كثير : أخبر الله إنهم لما بغوا – يعني بنو إسرائيل – وطغوا سلط الله عليهم عدوهم ، واستباح بيظتهم ، وسلك خلال بيوتهم وأذلهم واقهرهم ، وما ربك بظلام للعبيد فأنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقاً من الأنبياء والعلماء. [2]

---

١ – سورة الإسراء الآيات (٤ – ٥ – ٦ – ٧ – ٨) .

٢ – ينظر تفسير القرآن العظيم ٤٧/٥ .

وقد روى ابن جرير عن يحيى بن سعيد [١] قال سمعت سعيد بن المسيب[٢] يقول : ظهر بختنصر [٣] على الشام ، فخرب بيت المقدس وقتلهم ، ثم أتى دمشق فوجد بها دماً يغلي على كِباً[٤] ، فسألهم : ما هذا الدم ؟ فقالوا : أدركنا أباءنا على هذا ، وكلما ظهر عليه الكبا ظهر . قال ، فقتل على ذلك الدم سبعين ألفاً من المسلمين . [٥]

قال ابن كثير : وهذا صحيح إلى سعيد بن المسيب ، وهو المشهور ، وأنه قتل أشرافهم وعلماءهم ، حتى لم يبق من يحفظ التوراة ، وأخذ معه خلقاً منهم أسرى من أبناء الأنبياء وغيرهم .[٦]

وبعد أن قضى بنو إسرائيل في أسر البابليين مدة طويلة ، وتابوا إلى الله ، وندموا على ما فرط منهم ، سلط الله على البابليين ملوك فارس ، وهزموهم ، وضعف سلطانهم ، وعاد بني إسرائيل إلى بلادهم .[٧]

قال القرطبي : فلما رجعت بنو إسرائيل إلى بيت المقدس عادوا إلى المعاصي فسلط الله عليهم ملك الروم [١] وهو قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ

---

١ – يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو الأنصاري ، قاضي المدينة ، روى عن أنس بن مالك ، ومحمد بن حبان وسعيد بن المسيب ، روى عنه سعيد بن بلال ، والليث بن سعد وغيرهم ، مات سنة ثلاث أو أربع او ست وأربعين . ينظر : رجال صحيح البخاري ٧٩٢/٢ ، رجال صحيح مسلم ٣٤٢/٢ التتقان لابن حبان ٥٢١/٥ .

٢ – سعيد بن المسيب بن حزن بن ابي وهب المخزومي ، كان في جلة فقهاء التابعين ، روى عن ابي هريرة ، وأبيه المسيب بن حزن ، وروى عنه الزهري ، وقتادة ، وعطاء ، مات سنة ثلاث أو أربع وتسعين .ينظر رجال صحيح البخاري ٢٩٢/١ ، ورجال صحيح مسلم ٢٣٧/١

٣ – بختنصر هو ملك بابل ، وآشور بلاد أورشليم ، غزا بني إسرائيل في حوادث متسلسة ، واسر جمعاً غفيراً منهم ، واخذ الذهب الذي في هيكل سليمان .

٤ – كِبَا : الكِبَا والكُبة هي الكناسة والتراب الذي يكنس في البيت .

٥ – ينظر جامع البيان ١٤٦/١٧

٦ – ينظر تفسير القرآن العظيم ٤٨/٥

٧ – ينظر التحرير والتنوير ٣٨/١٥.

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾] [٢] فغزاهم في البر والبحر ، فسباهم وقتلهم ، وأخذ أموالهم ونساءهم ، وأخذ حلي جميع بيت المقدس . [٣]

ولم يسلم خير الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم . وخاتم النبيين من تسلط كفار قريش عليه وعلى المسلمين .

فقد لقي – صلوات الله وسلامه عليه – منهم الأذى بوسائل شتى فأوذي بالكلام ، وبجسده ، وبعرضه ، واتهموه اتهامات باطلة ليصدوا الناس عنه ، فقالوا عنه : مجنون ، قال تعالى : [وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾] [٤]. وقالوا عنه كاذب ، قال تعالى: [وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾] [٥] واتهموه بالسحر ، قال تعالى: [وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾] [٦]

وحاصرت قريش النبي ، وبني هاشم ، وبني عبد المطلب في الشعب ، ودام هذا الحصار ثلاث سنوات ، واشتد عليهم البلاء ، حتى سمع أصوات صبيانهم يبكون من وراء الشعب[٧] . ولما خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الطائف بعد دعوته لهم جعلوا صبيانهم يرمونه بالحجارة حتى أدمت قدماه . [٨]

---

١ – لم أقف له على ترجمة .

٢ – سورة الاسراء الآية (٧) .

٣ – ينظر الجامع لإحكام القرآن ٢٢٢/١٠.

٤ – سورة الحجر آية (٦)

٥ – سورة الفرقان آية (٤)

٦ – سورة ص آية (٤)

٧ – ينظر سيرة ابن إسحاق ١٥٥/١ ، مختصر زاد المعاد ١٠٤/١ .

٨ – ينظر الروض الآنف ٢٥/٤

وكذلك الصحابة – رضي الله عنهم – نالوا من عذاب المشركين نصيبهم ، فعن عبد الله بن مسعود قال : " أول من أظهر إسلامهم سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبوبكر ، وعمار[١] ، وأمه سمية[٢] ، وصهيب [٣] ، والمقداد[٤] ، فأما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فمنعه الله تعالى بعمه أبي طالب ، وأما ابوبكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون ، فألبسوهم ادراع [٥] الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم إنسان إلا قد وأتاهم على ما أرادوا ، إلا بلال فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه فأعطوه الولدان ، وأخذوا يطوفون به في شعاب مكة ، وهو يقول أحَدٌ أحَد " [٦] .

عن سعيد بن جبير قال : قلت لإبن عباس أكان المشركون يبلغون من المسلمون في العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ، فقال : نعم والله عن كانوا ليضربون أحدهم ، ويُجيعونه ، ويُعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به ،

---

١ – عمار بن ياسر بن عامر بن كنانة ، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام ، شهد بدرا ، واستشهد يوم صفين ، وكان يومئذ عمره تسعاً وتسعين . ينظر الإستيعاب في معرفة الاصحاب ١١٣٥/٣ ، أسد الغابة ١٢٢/٤ .

٢ – سمية أم عمار بن ياسر ، كانت أمه لأبي حذيفة بن المغيرة ، من السابقين الأولين إلى الإسلام ، وممن عذب في الله وصبرن ، من المبايعات الخيرات الفاضلات . ينظر الإستيعاب ١٨٦٣/٤ ، أسد الغابة ١٥٢/٧ .

٣ – صهيب بن سنان بن مالك بن عمرو ، كان من السابقين الأولين إلى الإسلام ، شهد بدراً واحداً والخندق ، توفى في المدينة سنة ٣٩هـ ودفن بها . ينظر الاستيعاب ٧٢٦/٢ ، سير أعلام النبلاء ٣٤٩/٣.

٤ – المقداد بن عمروا بن ثعلبة بن مالك ، من السابقين الأولين إلى الإسلام ، هاجر إلى الحبشة ، شهد أحد والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفى في المدينة وكان عمره سبعين سنة . ينظر أسد الغابة ٢٤٢/٥ ، الإصابة ١٥٩./٦

٥ – أدْرَاع : جمع درّع ، والدرع لبس الحديد ، ودرع المرأة ثوبها . ينظر لسان العرب ٢٨/٨

٦ – ينظر مسند أحمد ، مسند عبد الله بن مسعود ٣٨٢/٦ . فتح الباري ١٦٦/٧ .

حتى أنه يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، وحتى يقولوا : أللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول نعم ، ... افتداء منهم لما يبلغون من جهده [١] .

ولا يخفى على أحد واقع المسلمين اليوم فهو شبيهاً بما أصاب أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقد تسلط أعداء الإسلام على المسلمين في كثير من البلاد ، فحاربوا الإسلام ، وضيقوا على المسلمين ، وقتلوهم ، وحرقوهم ، وانتهكوا أعراضهم ، وليس لهم ذنب إلا أنهم يؤمنون بالله العزيز الحميد .

والقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين ، ومعراج النبي – صلى الله عليه وسلم – ، في قبضة اليهود ، يذلون المسلمون ، ويهدمون بيوتهم ويشردونهم ، وقد قال الله تعالى : [يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾][٢].

نسأل الله أن ينصر المسلمين في كل مكان ، وأن يقينا شر أعدائنا ، ويجعل كيدهم في نحورهم ، وأن يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر .

ثانياً : الخوف والرعب

وهذه إحدى الأزمات التي ذكرها الله في القرآن الكريم ، فقد واجه المسلمون شدائد وأهوال ، وخوف ورعب ، أعقبتها نعمة ورخاء من الله تعالى ، ظهرت فيه حكمة الله في ذلك .

قال تعالى : [إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾][٣] .

---

١ – ينظر سيرة ابن إسحاق ١٩١/١ ، فتح الباري ١٦٦/٧ .

٢ – سورة التوبة آية (٣٢)

٣ – سورة الأحزاب آية (١٠).

فقد تكالب الأعداء على المسلمين في غزوة الأحزاب في السنة الخامسة من الهجرة من قبائل العرب قريش ، وغطفان ، وبنوقريظة ، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – والمسلمون في حالة ضعف وقلة عدد ، وخوف ، وشدة جوع ،وفي ظل هذه الظروف يستشير الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيقترح سلمان الفارسي [١] – رضي الله عنه – حفر الخندق[٢] حول المدينة لحمايتها ، ويبدأ المسلمون في حفر الخندق ومعهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – وبعد أن فرغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من حفر الخندق أقبلت قريش في نحو عشرة آلاف بمن معهم من كنانة ، وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان بمن معها من أهل نجد[٣].

قال ابن إسحاق : وعظم البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، حتى قال معتب بن قشير [٤] : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط ، وحتى قال أوس بن قيظي[٥] : يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملأ من رجال قومه فأذن لنا أن نرجع إلى دارنا فإنها خارج المدينة [٦] .

---

١ – سلمان الفارسي : أبو عبد الله ، مولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويعرف بسلمان الخير كان أصله من فارس ، أول مشاهده الخندق ، ولم يفته بعد ذلك مشهد مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – توفي في آخر خلافة عثمان ٣٥هـ ينظر : الاستيعاب ٦٣٤/٢ ، أسد الغابة ٥١٠/٢.

٢ – الخندق : الوادي ، والخندق : الحفير ، وخندق حوله : حفر خندقاً ، والخندق : المحفور ، ينظر : لسان العرب ٩٢/١٠.

٣ – ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٣٢/٤.

٤ – مُعَتِبّ بن مُليل بن زيد بن العطاف الأنصاري الأوسي ، ذكروه فيمن شهد العقبة ، وقيل انه كان منافقاً ، وقيل انه تاب ، وقد ذكر فيمن شهد بدراً . ينظر الإصابة في تمييز الصحابة ١٣٨/٦ .

٥ – أوس بن قيظي بن عمرو بن زيد الأنصاري الأوسي ، شهد أحداً هو وابناه عرابة وعبد الله ويقال أن أوس كان منافقاً ، ينظر الإصابة ٣٠٥/١ ، أسد الغابة ١٧٥/١ .

٦ – ينظر البداية والنهاية ١١٩/٤ . وذكر نحوه البيهقي في سننه ، باب من ليس للإمام أن يعزو به ٥٤/٩ .

قال ابن كثير : وهؤلاء وأمثالهم هم المرادون بقوله تعالى : [وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾] [1].

قال ابن إسحاق : فأقام النبي – صلى الله عليه وسلم – مرابطاً ، وأقام المشركون يحاصرونه بضع وعشرين ليلة ... ولما اشتد البلاء نافق ناس كثيرون ، وتكلموا بكلام قبيح ، فلما رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما بالناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول : " والذي نفسي بيدي ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة وأني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمنا ... " .

قال حذيفة : لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود وأبو سفيان ومن معه فوقنا ، وقريظة اليهود أسفل منا ، نخافهم على ذرارينا ، وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ، ولا أشد ريحاً منها في أصوات ريحها مثل الصواعق ، وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه ، فجعل المنافقون يستأذنون الرسول ويقولون أن بيوتنا عورة ، فما يستأذنه أحدهم إلا أذن له ، ويأذن لهم ويتسللون ، ونحن ثلاث مائة ونحو ذلكم.

فأرسل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حذيفة ليأتي بخبر القوم ، يقول حذيفة : وإذا الريح في عسكرهم شديدة ، ما تجاوز عسكرهم شبراً ، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم ، وفرشهم ، الريح تضرب بها ، ثم إني خرجت نحو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فما انتصفت بالطريق إذا أنا بنحو عشرين فارساً ، أو نحو ذلك ، مُعتّمين ، فقالوا : أخبر صاحبك إن الله كفاه .

قال : فرجعت إلى رسول الله وأخبرته خبر القوم ، فأنزل الله تعالى : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ

---

١ – سورة الأحزاب الآيتان (١٢ – ١٣).

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾] [١] .

أي صرف الله عنهم عدوهم بالريح التي أرسلها عليهم ، والجنود من الملائكة وغيرها التي بعثها الله إليهم ، وكفى الله المؤمنين القتال[٢] .

وما حدث في غزوة الأحزاب نراه في عصرنا الحاضر حيث يتحالف الأعداء على المسلمين بقصد القضاء على الدين الإسلامي ، فبعضهم يعلنها صريحة ، والبعض الآخر يتحالف ويتكاتف معهم ، وهم أهل النفاق والشر ، فنجدهم يقدموا التسهيلات ، والمساعدات ، من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين ، بحجة وصف الإسلام بالإرهاب .

ثالثاً : التنازع بين المسلمين .

من أعظم الأسباب لتفرق كلمة المسلمين حدوث التنازع بينهم ، فهو يثير العداوة والبغضاء بينهم فيؤدي ذلك إلى الفشل ، ولو رجعوا لكتاب الله وسنة نبيه لما حدث التنازع بينهم قال تعالى :[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾] [٣] .

---

١ – سورة الأحزاب الآيات (٩ – ١٢) .

٢ – ينتظر : جامع البيان ٢١٦/٢٠ . الجامع لأحكام القرآن ٢٢٦/٤ . البداية والنهاية ١٢٠/٤ ، ١٢٥ ، ١٣٢ .

٣ – سورة النساء آية (٥٩) .

كما أن التنازع يؤدى إلى تخلف الأمة عن النصر ، وقد ظهر أثر ذلك على المسلمين في غزوة أحد في السنة الثالثة من الهجرة .

كانت الدولة في أول النهار للمسلمين على الكفار ، فانهزم أعداء الله وولوا مدبرين ، حتى انتهوا إلى نسائهم ، فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله – صلى الله عليهم وسلم – بحفظه ، وقالوا : يا قوم الغنيمة . فذكرهم أميرهم عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فلم يسمعوا ، وظنوا أن ليس للمشركين رجعة ، فذهبوا في طلب الغنيمة ، وأخلوا الثَّغر [١] وكَرَّ[٢] فرسان المشركين ، فوجدوا الثَّغر خالياً ، قد خلا من الرماة ، فجازوا منه وتمكنوا حتى أقبل آخرهم ، فأحاطوا بالمسلمين ، فأكرم الله من أكرم بالشهادة وهم سبعون ، وخلص المشركون إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجرحوا وجهه وكسروا رباعيته اليمنى ... حتى وقع [٣].

وعن البراء[٤] – رضي الله عنه – قال : لقينا المشركين يومئذ ، وأجلس النبي – صلى الله عليه وسلم – جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبدالله[٥] وقال : (لا تبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم ، فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تُعينونا) . فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يتشددن في الجبل ، ورفعن عن سوقهن [٦] حتى بدت خلاخلهن

---

١ – الثّغر : الموضع الذي يكون حداً فاصلا بين بلاد المسلمين والكفار .

٢ – وكَرَّ : الكَرُّ : الرجوع . ينظر النهاية في غريب الحديث ١/٢١٣ .

٣ – ينظر زاد المعاد ٣/١٧٩ .

٤ – البراء بن عازب ابو عمار الحارثي ، سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – وروى عن أبي بكر ، وأبي أيوب وروى عنه : عبدالله بن يزيد ، وأبو إسحاق ، وغيرهم توفى في الكوفة في زمن مصعب بن الزبير . ينظر الهداية والإرشاد ١/١٢٣ ، والاستيعاب ١/١٥٥ .

٥ – عبدالله بن جبير بن النعمان الأنصاري ، شهد العقبة ، ثم شهد بدراً ، وقتل يوم أحد شهيداً . ينظر الاستيعاب ٣/٨٧٧ ، أسد الغابة ٣/١٩٤ .

٦ – كشف السوق مَثَل في شدة الأمر ، كما يقال للشحيح يده مغلولة . ينظر النهاية في غريب الحديث ٢/٤٢٢.

، فاخذوا يقولون : الغنيمة ، الغنيمة ، فقال عبد الله عهد إليَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – إن لا تبرحوا ، فأبوا ، فلما أبوا صُرِفَ وجوههم ، فأصيب سبعين قتيلاً [١] .

وما يمر المسلمون في وقتنا الحاضر من محن ، وشدائد بسبب تفرق كلمتهم وعدم طاعة الله ، وطاعة رسوله – صلى الله عليه وسلم – فنجدهم انشغلوا باتقاء بعضهم بعضاً ، وانصرفوا عن مصالح دينهم ودنياهم .

قال الشيخ الشنقيطي – رحمه الله – :

إن اختلاف القلوب هو أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة الإسلامية لاستلازمة الفشل ، وذهاب القوة والدولة ، كما قال تعالى :[وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ] [٢] .

وقال ايضاً : نرى المجتمع الإسلامي اليوم في أقطار الدنيا يضمر بعضهم لبعض العداوة والبغضاء ، وان جامل بعضهم بعضا فإنه لا يخفى على أحد أنه يجامله ، وإن ما تنطوي عليه الضمائر مخالف لذلك. قال تعالى:[تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ] [٣] [٤].

رابعاً : الجوع وعدم الأمن .

لقد تحدث القرآن الكريم عن هاتين الأزمتين ، فبين الله تعالى كيف يمتن على عباده بالرزق والأمن ، ثم تقابل هذه النعم بالكفر والطغيان . وقد جمع الله بين هاتين النعمتين في أكثر من موضع في القرآن الكريم فقال تعالى : (الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)[٥].

قال الشيخ الشنقيطي :

---

١ – أخرجه البخاري في صحيحه ، باب غزوة أحد ، ٩٤/٥ .

٢ – سورة الأنفال آية (٤٦).

٣ – سورة الحشر آية (١٤).

٤ – ينظر أضواء البيان ٥٣/٣.

٥ – سورة قريش آية (٤).

في الجمع بين إطعامهم من جوع ، وأمنهم من خوف ، نعمة عظمى لأن الإنسان لا ينعم ولا يسعد إلا بتحصيل هاتين النعمتين معاً ، إذ لا عيش مع الجوع ، ولا أمن مع الخوف ، وتكمل النعمة باجتماعهما .

ولذا جاء الحديث " من أصبح منكم آمناً في سربه ، معافى في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا " [١] [٢] .

وقد ضرب الله مثلا بمكة لغيرها من البلاد ، فقد بعث الله فيها رسوله محمد – صلى الله عليه وسلم – يدعوا أهلها إلى الحق فجحدوا بعثته ، وكذبوه ، ولم يقبلوا ما جاء به ، فحل بهم عذاب الله وهو الجوع والخوف .

قال تعالى: [وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾] [٣] .

قال ابن جرير : مثل الله مثلا لمكة التي سكنها أهل الشرك بالله ، وهي القرية التي كانت آمنة مطمئنة ، وكان أمنها أن العرب كانت تتعادى ، ويقتل بعضهم بعضا ، ويسبي بعضهم بعضاً ، وأهل مكة لا يغار عليهم ، ولا يحاربون في بلدهم فذلك كان أمنها ... ، يأتي أهلها معايشهم واسعة كثيرة ، من كل فج في هذه القرية .

ثم يقول : فكفر أهل مكة بأنعم الله التي أنعم بها عليها ... ، فأذاق الله أهلها لباس الجوع ، وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم ... ، وسلط عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – [١] حتى أكلوا العلهز [٢] والجيف [٣] .

---

١ – رواه الترمذي في السنن برقم (٢٣٤٦) عن طريق عبيد الله بن محصن عن أبيه ، وقال حديث حسن غريب ١٥٢/٤ . وابن ماجة في السنن ، باب القناعة حديث رقم (٤١٤١) ، ١٣٨٧/٢ .

٢ – ينظر أضواء البيان ١١٢/٩.

٣ – سورة النحل آية (١١٢)

وقال أما الخوف فإن ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – التي كانت تطيق بهم . وقوله: (بما كانوا يصنعون) بما كانوا يصنعون من الكفر بأنعم الله ، ويجحدون آياته ، ويكذبون رسوله [٤] .

قال الشنقيطي :

يجب على كل عاقل أن يعتبر بهذا المثل ، وألا يقابل نعم الله بالكفر ، والطغيان ، لئلا يحل به ما حل بهذه القرية المذكورة ، ولكن الأمثال لا يعقلها عن الله إلا من أعطاه الله علماً لقوله تعالى: [وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾][٥] [٦] .

ولقد امتن الله على الناس بخيرات كثيرة لا تعد ولا تحصى ، وامتن عليهم أيضاً بنعمة الأمن والأمان التي لا تعدلها نعمة ، ولا يعرف هذه النعم إلا من فقدها .

والناظر في حال الأمة الإسلامية ، وما هم فيه من بلاء ، وغلاء ، ووباء ، وشقاق ، وحروب ، سببها التمادي في الذنوب والمعاصي قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " إذا ظهر السوء في الأرض ، أنزل الله بأهل الأرض بأسه " [٧] .

---

١ – عن أبي هريرة – رضي الله عنه – : أن النبي – صل الله عليه وسلم كان إذا رفع رأسه من الركعة الآخرة ، يقول : (... اللهم أشدد وطأتك على مُضَر ، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف) أخرجه البخاري ، باب دعاء النبي ، ٢٦/٢ . وأخرجه مسلم باب استحباب القنوت ٤٦٦/١ .

٢ – العِلْهِز : هو شيء يتخذونه في المجاعة يخلطون الدم بأوبار الإبل . ينظر النهاية في غريب الحديث ، ٢٩٣/٣.

٣ – الجِيَّف : الجيفة جثة الميت إذا أنتن . ينظر النهاية في غريب الحديث ٣٢٥/١.

٤ – ينظر جامع البيان ٣٠٩/١٧ ، ٣١٠ ، الجامع لأحكام القرآن ١٩٤/١٠ . تفسير القرآن العظيم ٦٠٨/٤ .

٥ – سورة العنكبوت آية (٤٣)

٦ – ينظر أضواء البيان ١١٢/٩.

٧ – رواه أحمد في المسند ، رقم ٤١٣٣ ، عن عائشة رضي الله عنها ، والحاكم في المستدرك برقم ٨٥٩٤ وسكت عنه الذهبي .

فعلى المسلمين أفراداً وجماعات أن يقابلوا النعم بالشكر لله ، والطاعة والعبادة .
وإن لم يراعوا هذه النعم ، ويقدروها حق قدرها ، ولم يشكروا الله عليها ، فليس ببعيد أن يسلب الله هذه النعم لكفرانهم ، وجحودهم ، وعصيانهم لواهب هذه النعم .

المبحث الثاني :
أسباب الأزمات

من خلال الطرح في المبحث السابق عن أنواع الأزمات يتضح لنا الأسباب التي أدت إلى حدوثها ، لعلنا نجملها في هذا المبحث بالأسباب التالية :

– الحكم بغير ما أنزل الله .

إن من أعظم أسباب الأزمات أن يحكم المسلمون بغير ما أنزل الله حيث قال الله فيهم: [لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾][1] .

قال ابن مسعود والحسن : "هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين ، واليهود ، والكفار ، أي معتقداً ذلك مستحلاً له ، فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه راكب محرم فهو من فساق المسلمين ، وأمره إلى الله تعالى ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له" [2] .

فقد سلك بعض المسلمين التحاكم إلى القوانين الوضعية ، وترك شريعة الله قال تعالى : [فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾][3] .

وقد أجمع المسلمون على أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو الرد إليه في حضرته ، وإلى سنته في غيبته ومماته [4] .

واللجو إلى القوانين الوضعية ، وترك شريعة الله هو من إتباع الهوى ، فيبحثون عما يتوافق مع مصالحهم في الأحكام .

---

١ – سورة المائدة آية (٤٤)

٢ – ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٩٠/٦ .

٣ – سورة النساء آية (٥٩)

٤ – ينظر أضواء البيان ٢٠٠/٤

قال تعالى : [يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾][1] .

وهذا من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى تفرق المسلمين ، وتشتتهم ، وحدوث الخلاف والنزاع بينهم ، لأنهم تركوا حكم الله ورسوله ، ولجاؤا إلى حكم البشر .

قال تعالى : [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾][2].

فنفى الله الإيمان عن من لم يحكموا النبي – صل الله عليه وسلم – فيما يحصل بينهم من شجار وتخاصم .

لذا لا بد أن يخشى المسلمون على أنفسهم ، وعلى بلادهم من الإبتعاد عن كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ويحذروا آثار ذلك عليهم .

–كثرة الذنوب والمعاصي .

كثرة الذنوب والمعاصي بسبب البعد عن دين الله ، فقد ابتعد الناس عن عقيدة الإسلام الصحيحة قولاً وعملاً .

فأضاعوا الصلوات ، واتبعوا الشهوات ، ومنعوا الزكاة ، وبخسوا الموازين ، وانتشرت الفواحش ، وتهاونوا بالمنكرات ، وأعجبوا بالغرب ، وسلكوا مسلكهم ، وصدق عليهم قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر ،

---

١ – سورة ص آية (٢٦)

٢ – سورة النساء آية (٦٥)

وذراعاً بذراع ، حتى لو أن أحدهم دخل جُحر لدخلتم ... " [١].وهذا فيه تحذير من التشبه بأحوال الكفار والاقتداء بهم .

وقد ساعد الناس على محاكاة الغرب انتشار القنوات الفضائية ، فهي تدعوا إلى الفساد ، والسقوط الأخلاقي ، وأدى ذلك إلى البعد عن دين الله والتمسك بتعاليمه . فانتشرت الفتن وحلت الأزمات ومنع القطر ، وكثرة الأمراض.

قال تعالى: [فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾][٢] ، وقال أيضاً : [وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾][٣].

فالذنوب والمعاصي هي سبب زوال النعم، وظهور النقم ، وما أهلك القرون الأولى إلا الذنوب والمعاصي .

– ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن ترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والتخلي عن الدعوة إلى الله من أعظم الأسباب لتعرض المسلمون للأزمات فإن لم يكن هناك مصلحون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، عمت الفتن ، ونزل البلاء وحل بالناس العذاب .

قال تعالى : [وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾][٤] ، وما حل بالأمم السابقة من الأزمات ، والعذاب ، إلا بسبب أنهم كانوا لا ينهي بعضهم بعضاً عن المنكرات والمعاصي .

---

١ – أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين حديث رقم ٨٤٤٠٤ ، عن ابن عباس ، وقال عنه حديث صحيح ، ووافقه الذهبي .

٢ – سورة المائدة آية (١٤).

٣ – سورة الشورى آية (٣٠).

٤ – سورة هود آية (١١٧).

قال تعالى : [كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾][1] ، قال القرطبي في تفسير الآية : [كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ]أي لا ينهي بعضهم بعضا ، [لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] ذم لتركهم النهي ، وكذا من بعدهم يذم من فعل فعلهم .

أخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود قال رسول الله – صل الله عليه وسلم – :" إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل أول ما يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ، ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه في الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيلة ، وشريبه [2] ، وقعيده [3] ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : [لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾]. إلى قوله:[فَاسِقُونَ][4] ، ثم قال : " كلا والله لتأمرون بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه [5] على الحق ، ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، وليلعننكم كما لعنهم " [6] .

---

١ – سورة المائدة آية (٧٩).

٢ – أكيله وشريبه : الأكيل والشريب الذي يصاحبك في الأكل والشرب . ينظر النهاية في غريب الحديث ١/ ٥٨

٣ – قعيده : القعيد الذي يصاحبك في قعودك ،
ينظر النهاية في غريب الحديث ٤/٨٦.

٤ – سورة المائدة آية (٧٨).

٥ – لتأطُرُنّه : أي تعطفوا عليه .

٦ – ينظر سنن أبو داود ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حديث رقم ٤٣٣٦ ، ٤/١٢١ وأخرجه ابن ماجة ، باب الأمر بالمعروف حديث رقم ٤٠٠٦ ، عن أبي عبيدة . والترمذي باب في سورة المائدة ، حديث رقم ٣٠٤٨ ، ٥/١٠٣ ، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣/٢٢٧ .

وهذا الوعيد من النبي – صلى الله عليه وسلم – تنبيه للناس قبل أن تحدث المعصية ، ويحل بهم عذاب الله .

وهذه بعض الأسباب لحدوث الأزمات في المسلمين ، وهي على سبيل المثال لا الحصر .

نسأل الله إن يرد المسلمين رداً جميلاً لدينهم وأن يعلي كلمته وينصر دينه .

المبحث الثالث

علاج الأزمات

من رحمة الله بخلقه أنه إذا حلت المحن ، والأزمات يجعل الله لها مخرجاً ، وهو الكفيل سبحانه وتعالى بان يخرج الناس منها ، قال تعالى : [إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦] [١] ، ولكن لابد من اتخاذ السبل لذلك ومنها :

– حكيم شرع الله.

إن الرجوع بأحكامنا كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – فيه العودة الصادقة إلى الله تعالى .

فإنه لا حياة ، ولا مجد ، ولا عزة للمسلمين إلا بتحكيم شرع الله تعالى . قال تعالى : [إِن تَنصُرُوا ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧] [٢] .

ولا هوان ، ولا ذلة إلا بالإبتعاد عن شرع الله تعالى ، ومتى ما تخلى المسلمون عن ربهم ، وشرعه تخلى الله عنهم ، قال تعالى : [وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم ۝٣٨] [٣] .

قال ابن جرير في تفسير الآية : يقول تعالى ذكره : وان تتولوا أيها الناس عن هذا الدين الذي جاءكم به محمد – صلى الله عليه وسلم – فترتدوا راجعين ، [يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ] يقول: يهلكم ثم يجيء بقوم آخرين غيركم بدلاً منكم يصدّقون به ويعملون بشرائعه [٤].

– الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

١ – سورة الشرح آية (٦) .

٢ – سورة محمد آية (٧).

٣ – سورة محمد آية (٣٨) .

٤ – ينظر جامع البيان ١٩٢/٢٢ .

إذا وجد الإصلاح والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ارتفعت الأزمات ، والمحن ، وحل الأمن ، والأمان بين المسلمين . لأن المنكرات إذا انتشرت ولم تجد من ينكرها حل غضب الله الذي يعم الأمة جميعاً ، وإذا حلت نقمته فإنها تشمل المحسن والمسئ ، قال تعالى : [وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾][1] .

وتقع على العلماء مسؤولية كبيرة أمام الله في تبصير الناس وإرشادهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإيضاح الأدلة .

قال تعالى:[كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾][2]، فمن قام بهذا العمل دخل في ثناء الله على هذه الأمة .

قال قتادة : ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قال في حجة حجها ، ورأى من الناس رِعَة سيئة [3] ، فقرأ هذه (كنتم خير أمة أخرجت للناس ...) ، ثم قال : ياأيها الناس ، من سره أن يكون من تلك الأمة ، فليؤد شرط الله منها [4] . أي شرط الله الذي طلبه منها .

– توحيد كلمة المسلمين.

اجتماع المسلمين ، وتوحيد كلمتهم على الحق ، وتعاونهم ، سبباً لمنع النزاعات ، والخلافات بينهم ، كما أنه سبباً لنصرتهم على عدوهم . قال تعالى: [وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ

---

١ – سورة الأنفال آية (٢٥) .

٢ – سورة آل عمران آية (١١٠).

٣ – رِغَة : الرغَة ما يظهر من الخلق . ينظر النهاية في غريب الحديث ٦٤/١. لسان العرب ٤٣٦/١٥ .

٤ – رواه ابن جرير في جامع البيان ١٠٢/٧ . تفسير القرآن العظيم ١٠٣/٢.

ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾][1]

قال ابن عباس لسماك الحنفي[2] : يا حنفي ، الجماعة ، فإنما هلكت الأمم الخالية لتفرقها ، أما سمعت الله عز وجل يقول : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) .[3]

فأمرنا بالإجتماع على الإعتصام بالكتاب والسنة إعتقاداً وعملاً ، فإن هذا يوحد كلمة المسلمين ويعيد لهم مجدهم .

– وقاية المجتمع من وسائل الفساد.

تطهير وسائل الإعلام من البرامج الهابطة ، ونشر المنكرات ، كما يجب تفعيل الإعلام الإسلامي ، وجعله وسيلة تربوية ، توعوية ، تركز على تعاليم الإسلام ، وقيمه ، وبناء الفرد المسلم المتمسك بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

قال صلى الله عليه وسلم : "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته "[4] .

---

١ – سورة آل عمران آية (١٠٣).

٢ – سماك بن الوليد أبو زميل الحنفي ، روى عن ابن عباس ، وابن عمر ، ومالك بن مرثد ، وروى عنه : شعبة وعكرمة وابنه الزميل بن سماك . قال أبو زرعه : سماك ثقة أصله من اليمامة . ينظر الجرح والتعديل ٤/٢٨٠ .

٣ – ينظر الجامع لأحكام القرآن ٤/١٦٤ .

٤ – أخرجه البخاري ، باب المرأة راعية في بيت زوجها ، عن ابن عمر رضي الله عنه ، حديث رقم ٥٢٠٠ ، ٧/٣١ . ومسلم ، باب فضيلة الإمام العادل ، حديث رقم ١٨٢٩ ، ٣/١٤٥٩ .

الخاتمة

بتوفيق من الله أنهيت هذا البحث ، داعية الله أن يجعل فيه النفع والفائدة وان يجعله خالصاً لوجهه ، وقد توصلت إلى النتائج التالية :

أولاً : لا بد أن يتوكل المسلمون على الله وأن يثقوا بنصر الله ، فإنه مهما تسلط الأعداء عليهم ، واشتد النزاع بينهم وساءت أحوالهم ، إلا أن الله تعالى وعد عباده بالنصر ، والعزة ، والتمكين ، قال تعالى : [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾] [١]

وأن يَعيَّ المسلمون أن المستقبل لدين الله ويدل على ذلك قوله تعالى: [يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾] [٢] .

إذا لا بد أن يكون المسلم واثقاً بوعد ربه مهما بلغت الظروف والأحوال.

ثانياً : إن ما حدث في غزوة الأحزاب للمسلمين من الشدائد فقد كان الأعداء أكثر قوة ، وعدة ، وعتاداً من المسلمين ، ومع ذلك لم ينفعهم ، فقد أرسل الله عليهم الريح العاتية ، ونزل ملائكته تثبت قلوب المجاهدين ، وتزلزل قلوب المشركين ، يجعلنا نزيد يقيناً أن فرج الله قريب ، وأن نصر الله آت لا محالة ، ودين الله لا يمكن أن يغلب .

ثالثاً : يجب أن لا يقنط المسلمون من رحمة الله ، مهما اشتدت الأزمات ، وأن تكون النصوص القرآنية دافعاً لهم للعمل على نصرة دين الله وبذل الجهد للدفاع عنه ، وخير قدوة لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عندما قال : " ... والله ليُتِمَّنَّ الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله ، والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون "[٣].

---

١ – سورة الروم الآية (٤٧)

٢ – سورة الصف آية (٨) .

٣ – أخرجه البخاري ، باب علامات النبوة ، حديث رقم ٣٦١٢ ، عن خباب بن الإرث ، ٢٠١/٤ .

رابعاً: يجب على المسلمين تحكيم شرع الله وإتباع منهج الله في كل شيء ، وإخلاص العمل له ، حتى لا يكون تأخير النصر بأيدينا. قال تعالى: [وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾][1]، وقال أيضاً : [إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾][2].

نسأل الله العزة والنصرة للإسلام والمسلمين في كل مكان .

---

١ – سورة الحج آية (٤٠) .

٢ – سورة محمد آية (٧) .

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١ – جامع البيان في تأويل القرآن لـ محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

٢ – الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله بن أبي بكر القرطبي ، تحقيق : أحمد البردوني ، وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م .

٣ – تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .

٤ – التحرير والتنوير لـ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي ، الدار التونسية للنشر – تونس ، الطبعة ١٩٨٤م .

٥ – صحيح البخاري لـ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .

٦ – صحيح مسلم لـ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٧ – سنن أبو داود لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني ، تحقيق : محمد محيي الدين ، المكتبة العصرية – بيروت .

٨ – سنن الترمذي لـ محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى الترمذي ، تحقيق : بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٩٨م .

٩ – صحيح ابن حبان لـ محمد بن حبان أبو حاتم الدرامي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

١٠ – المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن حمدوية النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .

١١ – السنن الكبرىٰ لـ أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ أبو بكر البيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

١٢ – فتح الباري لـ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ

١٣ – الجرح والتعديل لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم ، دار إحياء التراث – بيروت ، ١٩٥٢م .

١٤ – الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل – بيروت ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

١٥ – أسد الغابة في معرفة الأصحاب لأبي الحسن علي بن أبي الكرم عز الدين ابن الأثير ، تحقيق : علي معوض وعادل عبد الموجود ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .

١٦ – سير أعلام النبلاء لـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، دار الحديث – القاهرة ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م .

١٧ – الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عادي عبد الموجود وعلي معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٥هـ .

١٨ – النهاية في غريب الحديث والأثر لـ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ، تحقيق : طاهر الزاوي ، محمود الطناحي ، المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٩٧م.

١٩ – لسان العرب لـ محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل الأنصاري الرويقعي ، دار صادر – بيروت ، ١٤١٤هـ .

٢٠ – البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، تحقيق : علي شيري ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

٢١ – سيرة ابن إسحاق ، لـ محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني ، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ – ١٩٧٨م .

٢٢ – زاد المعاد في هدى خير العباد ، لـ محمد بن أبي بكر أيوب بن سعد بن شمس الدين ابن قيم الجوزية ، مؤسسة دار الرسالة – بيروت ، مكتبة المنار – الكويت الطبعة ٢٧ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .

٢٣ – اضواء البيان في إيضاح القرآن ، لـ محمد الامين بن محمد المختار بن عبد القادر الجنكي الشنقيطي ، دار الفكر – بيروت ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

٢٤ – مسند الإمام أحمد بن حنبل ، لأبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، تحقيق : أحمد بن محمد شاكر ، دار الحديث – القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .

٢٥ – سنن ابن ماجة ، لـ أبو عبد الله محمد القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العربية .